

شبه القارة الهندية عوالم ساحرة تسحق النساء

«وزارة السعادة القصوى» لأروندهاتي روي.. تقتفي آثار الطيور الهرمة



امرأة تخوض صراعها الخاص (لوحة للفنانة هيلدا حيارى)

من حياتهم وأرواحهم، وهم يجاهدون للبحث عن سعادتهم المنشودة، تلك التي تكون بدورها مضمرة ومخبوءة وكأنها جسد الطفلة المخبوءة في ثوب ذكوري مخيب للآمال.

تحدثت صاحبة "إله الأشياء الصغيرة" عن ممارسات سلطوية تعمل على تعميم مزيد من الإفقار، والتجهيل، وتحويلها إلى مقرات للجيش والعصابات كإغلاق مدارس ومستشفيات ومعامل المسلحة، وذلك تحت زعم حماية الأمن وتأمين السلام للمواطنين، في حين تكون الغاية هي ترويعهم وبث الرعب في قلوبهم.

ومن الجدير بالذكر أن رواية أروندهاتي من الخراء والغنى بحيث يصعب الإلمام بنفاسيلها المثيرة واللافتة التي تبرز جماليات شبه القارة الهندية بتعدد أعرافها وأديانها والوانها، بالموازاة مع تصوير جوانب من المعتقدات التي ترسم لشرائح كثيرة من أبناء تلك البلاد حياتهم الراهنة والمستقبلية، وتضعهم على خطوط التماس مع الفجائع، أو تلقي بهم في أتونها، ويسهون أنفسهم بكمول حروب الآخرين، ويسهون عن خوض حربهم الخاصة في صياغة سعادتهم المنشودة.

ينوس الخطاب الروائي لدى أروندهاتي حين استعراض حياة بطلتها بين الذكورة والأنوثة، حيث تقتفي أثر الطفلة المخبوءة في لبوس الذكر، وتأثيرات ذلك على حياتها الطفولية، وعلى المراحل اللاحقة من حياتها حين بدأت تكبر وتدخل معمعة الحياة التي واجهتها بقسوة وإيلام، وكانت جزءاً من تركيبة وحشية لا تبقى ولا تذر.

بذكاء تتطرق الكاتبة إلى التخريب الذي تعممه الصراعات الإثنية والقبلية والحروب الأهلية التي تنشر الكرهات والعنصريات

ترمز أروندهاتي إلى التخريب الذي تعممه الصراعات الإثنية والقبلية والحروب الأهلية التي تنشر الكرهات والعنصريات بين أبناء الجغرافيا الواحدة الذين يجدون أنفسهم ضحايا أحداث تاريخية لا يد لهم فيها، كصراع كشمير، والصراعات التي أنتجها بدوره، ويضطرون لدفع أثمان باهظة

واحتضنتها وهي تسقط في شق بين عالم عرفته وعوالم لم تكن تعرف أن لها وجوداً.

تحكي أروندهاتي أن هنالك في الهالوية، وبينما تختبض جهان آرا في دوامة الظلمة، بدا لها كل شيء كانت على يقين منه حتى ذلك الحين، من أصغر الأشياء حتى أكبرها، عديم المعنى، وقالت في قراراتها إن كل شيء إما أن يكون منكراً أو مؤثماً، رجلاً أو امرأة، كل شيء عدا وليدها، وكانت تعلم أن أمثاله في اللغة الأوردية كلمة تطلق عليهم هي هيجرا، بل كلمتان في الواقع هما هيجرا وكينار، وتسدرك بأنه ما من لغة تقوم على كلمتين اثنتين.

سر الطفلة ظل يكبر معها ومع أمها التي كانت تتساءل إن كانت الحياة تقوم خارج اللغة، وأن هذا السؤال لم يكشف لها عن نفسه في كلمات، أو حتى في جملة واحدة ناصعة الوضوح، بل تجلّى لها في عواء بدائي أخرس.. ثم بعد ذلك قررت أن تتكتم على الأمر إلى حين ولا تطلع أحداً عليه.. وبدأت تفكر في سبل معالجة الوليد، ولجأت إلى الأساليب البدائية كذلك والخرافات المنتشرة عن مداواة تقليدية أو روحانية في المزارات الدينية.

وأن أحدهم أخبرها أن اسمها في الإنجليزية حين يكتب معكوساً فإنه يتحول إلى منجو، وقال إنه في النسخة الإنجليزية من قصة مجنون ليلى يدعى روميو، وليلى تدعى جوليت. ثم أخبرها لاحقاً أن اسمها يتحول إلى مجنا، وهو لا يعني شيئاً، فردت عليه إن ذلك لا يهم، وهي كل هؤلاء، وأنها ملتقى الجميع ولا أحد، الجميع ولا شيء.

تدير انجم مع الإمام الضير حواراتها، تتفلسف بدورها وهي تستمع لفلسفاته وتستمتع بحكاياته، وتساله أن يخبرها أين تذهب الطيور الهرمة لتموت، وهل تسقط على الناس من السماء سقوط الحجارة، وهل يتعثر الناس بجثتها في الشوارع، وهل يعتقد أن الواحد العظيم البصير الذي أنزل البشر في هذه الأرض قد أعد الترتيبات اللازمة لأحدهم.

تحكي روي أن انجم التي ترحل لاحقاً عن الخواب، أثار غيظ الإمام الذي خرج غاضباً، وبدأ ينقر بعضاه على الأرض وسط المقابر، وهي بدورها لم تستوقفه، وعلمت في قراراتها أنه سيرجع، لأنها كانت تعرف الحدة حين تقع عليها عيناها برغم كل أشكال التظاهر والتخفي، وتروي أنها كانت تستشعر بطريقة محسوسة عجيبة أنه بحاجة إلى ظلها بقدر ما هي بحاجة إلى ظلها، وكانت تعلم من واقع الخبرة أن في مخزن الحاجة متسعاً لظفر لا بأس به من القسوة.

صراعات لا تنتهي

تعود أروندهاتي إلى لحظة ولادة انجم التي ولدت ذات ليلة باردة من يناير على نور قنديل في شاه جهان آباد، أي مدينة دلهي المسورة، وأخطأت القابلة بتحديد جنسها، وظنت بأنها ذكر، ما لاقى هوى وسعادة لدى والديها اللذين كانا ينتظران صبياً لأن لهما ثلاث بنات، وكانا قررا أن يسميا ولدهما اقتساب، واعتبرت أنها جهان آرا تلك الليلة أسعد ليلة في حياتها، لكن الخيبة الكبرى كانت في صباح اليوم التالي، حين اكتشفت أن المولود ليس ذكراً كما ظنت القابلة.

تكون الصدمة القاهرة للآدم التي تكون ردود فعلها متخبطة، تنفر من وليدها، ثم تنظر إليه لتتأكد أنها غير مخطئة، ثم ارتدت ابتعدت قليلاً وهي تنظر إليه، وفكرت في قتل نفسها وطفلتها، ثم بعد ذلك تناولت الطفلة

بعد مضي أكثر من عشرين عاماً على صدور روايتها الأولى "إله الأشياء الصغيرة" 1997، تعود الكاتبة والنشطة الحقوقية الهندية أروندهاتي روي إلى عالم الرواية من جديد بروايتها الثانية "وزارة السعادة القصوى" التي ترسم من خلالها صورة مجهولة عن المجتمع الهندي، الذي يعتبر من أكثر المجتمعات ثراءً حضارياً وتنوعاً إثنياً، لكن هذا التنوع يخفي خلفه عوالم كثيرة تتصارع وتتناحر لأجل الثروة أو الدين أو العرق أو فرض وجودها.

الماضية المستمرة، والفخ الذي يراد له أن يبقى فيه. وفي عتبة الإهداء الثانية تختار جملة قصيرة للشاعر التركي ناظم حكمت يقول فيها "الأمر كله معلق بقلبك..". ومن المعلوم أن ناظم حكمت عانى من ظلم النظام السياسي وقمعه، وقاسى مرارات السجون، لأنه كان ينتصر للقراء والمهمشين، ويدافع عنهم في شعره ومواقفه الحياتية والسياسية، وكان روي بذلك تدمج بين المعاناة الإنسانية في أكثر من مكان، وكيف أن الظلم يتناسبه في أوثاه ويقاطع في ألياته وتأثيراته ونتائج المفجعة.

بعد ذلك تستوحى حكاية أسطورية، تمارس عبرها نوعاً من الترميز والإسقاط، وتحكي كيف أنه في ساعة سحرية تنتزع جيوش الطوايط أنفسهم من شجر النين في المقبرة العتيقة، "لنخادح في المدينة أندياح الطوفان"، وتكمل أنه إذ "ترحل الطوايط، ترجع الغريبان، فلا تملاً بضجيج رجوعها ما تخلف من صمت بعد أن غابت العصافير، وبعد أن محبت من الوجود النسور الهرمة بيضاء الظهور حراس الموتى منذ مئة مليون سنة".

تقتل أروندهاتي الاستهلال السردى بالإشارة إلى أنه لم ينتبه الكثيرون إلى غياب الطيور الهرمة الحبيبة، فما أكثر ما كانت العيون مشدودة إليه، تنتسرع نوافذ الحكاية ومعاربها على عالم ثري مؤلم من الماسي والمفارقات الائمة التي تؤثت فضاء الرواية بفجائع الواقع ولعنات التاريخ التي تظل حاضرة في رانها وتحمّل جمرات الخراب مستقبلياً كذلك.

ثم بعد ذلك تختار للفصل الأول عنواناً استفهامياً "إلى أين تذهب الطيور الهرمة؟"، يفتح بدوره على مسارات حكاية متعددة، تمضي في اتجاهات تبدو مختلفة للوهلة الأولى للقارئ، لكنها لا تلبث أن تتقاطع تالياً وتسير معاً في نهر الحكايات مستكملة صورة الرواية فنياً وموضوعياً. تستعيد الرواية أنجم سيرة الاسم،

هيثم حسين
كاتب سوري

تعمل الروائية الهندية الشهيرة أروندهاتي روي في روايتها "وزارة السعادة القصوى" على تاريخ محطات من تاريخ المجتمع الهندي المثقل بالفوضى والطبقة والعنف الطائفي، بطريقة توثيقية وتخيلية مبتكرة، تتعمق من خلالها في ثانيا الطبقات الاجتماعية، لتشرحها وتعرض ما يعترف فيها من خرافات وأساطير وحكايات.

تصف روي في روايتها، الصادرة عن منشورات الكتب خان في القاهرة بترجمة أحمد شافعي، مظاهر الفقر التي تتركس التقسيم الطبقي في البلاد، وتلعب دوراً كبيراً في قهر الناس، وكيف أنه ينعكس على حياتهم بطريقة وحشية، وكأنه متواطئ مع الظروف التاريخية والسياسية السابقة والمصاحبة لتعكير آمالهم وتبديد أحلامهم بعد أفضل.

لعبة العتبات

تشقى عتبة الإهداء الذي توجهه الروائية "إلى من لا عزاء لهم" بمسارها في عملها، واستراتيجيتها المنتملة في الانتصار لأولئك المهمشين المسحوقين الذين لا يجدون من يواسيهم أو يعزيهم، أو يهب لمساعدتهم وانتشالهم من عوزهم وفقرهم وتهميشهم، ومن اللعنات الكارثية التي يبقون سجناء في مستنقعاتها ونزلاء في عتباتها المفروضة عليهم.

روي تصف في روايتها مظاهر الفقر التي تتركس التقسيم الطبقي في البلاد، وتلعب دوراً كبيراً في قهر الناس

تبقى أروندهاتي الإهداء مفتوحاً، بحيث يمكن تعميمه على جميع من يتماهى مع الحالة التي تمهد لها، وهي تلك التي لا يجد صاحبها أي عزاء أو مساندة، بحيث يكون التهميش لعنته

القارئ ينتظر المتعة

«القارئ الأخير» للارجنيتي ريكاردو بيجيليا، كتاب عن القراءة وتفاصيلها، ويصدر قريباً عن منشورات المتوسط، بترجمة الروائي المصري أحمد عبد اللطيف.

الكتابة عن القراءة متعة في كل الأحوال، وقد ترسخت جنس أدبي، لكن كتابه ريكاردو في هذا الكتاب أكثر إمتاعاً، وأثقل وزناً من كتابات البيروني مانغويل الذي اشتهر بهذا النوع من الأدب المخصص لفعل القراءة.

لا يحفل الكتاب بالمعلومات فحسب؛ بل يقدم ثيمات أقرب للعمل الإبداعي، ويعيد بناء حياة النص مع حياة كاتبه ومع عصره.

ريكاردو بيجيليا (1941 - 2017) روائي وناقد بعد من أبرز كتّاب القصة القصيرة كما أنه من أهم المنظرين لها قبل أن يتوجه إلى الرواية ويصدر خمس روايات، وهي أعمال تتقاطع مع اشتغاله النقدي والأكاديمي على نظريات الرواية وأدب أميركا اللاتينية.

رف الكتب

علاقة غريبة مع الكتب

رواية "عاشق الكتب" للكاتبة الأميركية اليسون هوفر بارلتيت، تتحدث عن تتبع اليسون مسارات سارق الكتب الموهوس جون جيكي، الذي سرق بما قيمته مئات الآلاف من الدولارات من الكتب النادرة بين عامي 1999 و2003، عبر استخدامه العشرات من أرقام بطاقات الائتمان التي حصل عليها من خلال عمله. أثار هذه السرقات غضب بائع الكتب النادرة، كين ساندروز، الذي قرر العمل كمحترق للقبض على السارق الموهوس، وهو ما تحقق لاحقاً. عندما وجدت قصة جيكي وساندروز طريقها إلى الصحافية اليسون هوفر بارلتيت، اكتشفت أنها "ليست فقط حول مجموعة من الجرائم، ولكن أيضاً حول علاقة الناس الحميمة والمعقدة والخطيرة في بعض الأحيان بالكتب".

واستخدمت الكاتبة قصة هذين الشخصين، جيكي وساندروز، نقطة بداية للبحث حول أغرب العلاقات ما بين الكتب ومحبيها والعاشقين لها. وقد صدر الكتاب حديثاً عن دار "المدى للنشر" في بغداد بترجمة حنان علي.

نهاية القرن الأمريكي

يعتقد الكثيرون أنه كذلك، ففي السنوات الأخيرة وقبل ظهور فايروس كورونا، أظهرت الاستطلاعات أن 15 بلداً من 22 أجريت عليها الاستطلاعات، أجابت أن الصين إما إنها ستحل محل الولايات المتحدة، أو إنها بالفعل قد حلت محلها باعتبارها القوة العالمية القادمة.

هذا ما يناقشه كتاب "هل انتهى القرن الأمريكي؟" تأليف جوزيف إس. ناي الابن، والذي صر عن المركز القومي للترجمة بترجمة وتقديم السيد أمين شلبي.

يرصد الكتاب تباين الآراء حول تراجع أميركا يأتي في الدرجة الأولى لإنفاقها الكبير جداً على الأغراض العسكرية، والتي هي نتيجة لمحاولاتها الاحتفاظ بارتباطات خارجية لم يعد في إمكانها تحملها بوضعها الاقتصادي الحالي.

وجوزيف ناي، الابن، ولد في 19 يناير 1937، وهو أستاذ علوم سياسية وعميد سابق لمدرسة جون كينيدي الحكومية في جامعة هارفارد.

